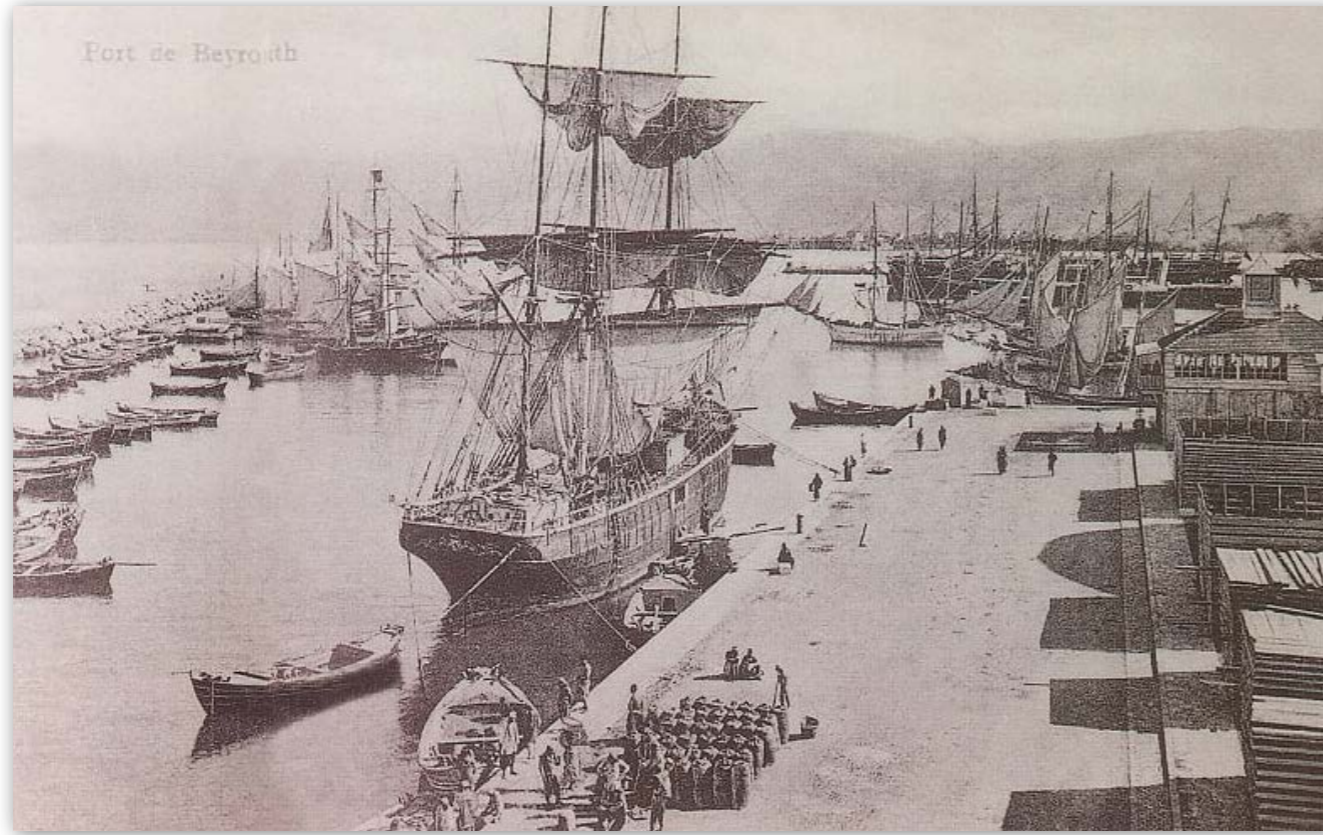


صفحات من لبنان

بقلم العميد الركن المتقاعد ادونيس نعمة

إبان جولة الأسطول البريطاني في المتوسط
"فكتوريا" تغرق في طرابلسمرقاً بيروت
قديماً.

في العدد الصادر من جريدة "التايمز" اللندنية في 28 حزيران 1893. من يريد الاطلاع على تفاصيل اكثر عن هذه الكارثة ما عليه الا مطالعة الكتاب الذي وضعه السر ريتشارد هوف وعنوانه ADMIRALS COLLISION، فهو يشتمل على الادق والاكمل من المعلومات عن الخسارة التي لحقت بالاسطول البريطاني في بلدنا.

نذكر أن شكري الفاخوري كان كاتباً لفنصل الولايات المتحدة الاميركية في طرابلس، وقد شاهد حادث غرق الدارعة بأمر عينه وقام بدور مشكور في صدده على الصعيد الصحافي، كما وضع مذكرات غاية في الدقة والاهمية فقدت لسوء الحظ كما أفاد ولده جوزف الفاخوري ("النهار"، 1977/8/3).

”
600 شخص انحدرت
بهم الباخرة الى قاع البحر
على عمق 380 قدماً
في خلال 13 دقيقة“

جسيمة، ولكنها لم تغرق ولم تتوقف، بل تابعت سيرها الى مالطة حاملة على متنها الناجين من الغرق. وأحيل المسؤولون عن الحادث امام المحكمة العسكرية، ونشرت الصحف البريطانية تفاصيل المأساة كما يرى الباحث

ف.هـ.ج. ريكورد، جوزف فارس (ترجمان لبناني)، موران شارل طومكنس، الكابتن كوك، سبيرو فورتلي، جيمس فيتلس، وهذه اللوحات مركزة على الحائط الى يمين المدخل.

اما معظم الجثث الاخرى التي كانت عالقة في اعماق الباخرة فقد التقطت او انتشلت في الايام التي تلت الكارثة ودفنت في قطعة ارض تبعد ميلين عن المقبرة الاولى الى شمال طرابلس، قرب منشآت انابيب شركة البترول اي.بي.سي، وهي لا تزال باقية الى اليوم.

وقد اقامت الاميرالية البريطانية نصباً تذكاريًا لهذه الفاجعة في مقبرة الميناء تخليداً لذكر غرقى "فكتوريا". اما الباخرة "كمبردون" فقد اصيبت باضرار

انفلكسييل وسبع سفن اخرى، وقد تابعت هذه السفن سفرها الى طرابلس في الساعة العاشرة من قبل ظهر ذلك اليوم. كان الطقس جميلاً والبحر هادئاً والنسيم يهب من كل جانب. وكانت "فكتوريا" معقودة اللواء للفييس اميرال جورج تريون القائد الاعلى للاسطول البريطاني في البحر المتوسط، كما كانت السفينة الأخرى "كمبردون" معقودة اللواء لمعاون الاميرال السر مركمس، ولكل من الباخرتين قبطنها الذي يأتمر بأمر رئيسه. وبعد الساعة الثانية من اليوم ذاته وصلت هذه البوارج الى مقابل البناء الأثري المعروف في طرابلس باسم "برج السباع"، وبينما كانت تجري بعض المناورات التدريبية وقع اصطدام مروع بين السفينتين "فكتوريا" و"كمبردون" انجلى عن غرق الاولى، وكانت تقل 600 شخص انحدرت بهم الى قاع البحر على عمق 380 قدماً في خلال 13 دقيقة، وقد مات منهم الفييس الاميرال تريون، ونجا 29 ضابطاً و262 رجلاً انتشلوا من المياه وهم على آخر رمق.

عاينت هذا المشهد المؤثر جموع كثيرة من طرابلس وجوارها، ومئات الاشخاص الذين اعتلوا التلال والهضاب المحيطة بالمدينة وكانوا قد أتوا لمشاهدة مناورات الاسطول، فأحدث فيهم مرأى السفينة العظيمة المشرفة على الغرق الذعر والخوف.

لم تطف على وجه المياه، فور وقوع الحادثة، سوى ست جثث من الغرقى التقطت ودفنت في مقبرة بريطانية صغيرة في محلة الميناء، حيث يشاهد الزائر الى اليوم ست لوحات يحمل كل منها اسم الميت وهم:

الفرنسية "فرانس"، بينما هي تفوقها بأقيستها الباقية. أنزلت الى البحر في 27 أيلول 1938، ونقلت من حوضها في انكلترا، لإبعادها عن الخطر النازي، الى نيويورك سنة 1940، فبقيت هناك حتى شهر تشرين الثاني من السنة ذاتها، ثم سُرِّت الى سنغافورة لاتمام بنائها. وقد اشتغلت بادئ الامر في المحيطين الهندي والهادئ اللذين غدا العمل فيهما خطراً بعد دخول اليابان الحرب. فنقلت الى المحيط الاطلسي، ويقال انه لن يبني مثل هذه الباخرة بعد الآن ابداً.

وقد ذكرنا قدوم الباخرة "كوين اليزابيث" الى مياها بكارثة غرق احدي كبريات السفن الحربية البريطانية "فكتوريا" تجاه مرقاً طرابلس (لبنان) في 22 حزيران 1893، وقد ذهب ضحيتها 309 اشخاص من ضابطها وبحارتها ابتلعتهم الاعماق. فهز مصرعهم وقتذاك انحاء المعمورة، وانهالت البرقيات والرسائل من دول العالم تعرب للملكة فكتوريا وحكومتها عن عميق اسفها لهذه الكارثة. وقد نشرت الصحف اللبنانية الصادرة في ذلك الزمن تفاصيل الحادثة، ونظم الشعراء القصائد المؤثرة لهولها، ومنها قصيدة مطولة للأب يوسف سعد من بكاسين تفيض حزناً والما الى جانب وصفها الدقيق للفاجعة. كيف وقعت الحادثة؟

في 22 حزيران 1893 رسا في مياه بيروت قسم من الاسطول البريطاني المتجول في البحر المتوسط، وذلك قيما بزيارة مجاملة لهذه البلاد، وكان مؤلفاً من السفن الآتية: فكتوريا، كمبردون، نيل، دريدنوت،

حملت بريطانيا منذ القديم لقب "سيده البحار"، ليس لأن جزرها تقوم وسط محيطات تدور حولها من كل جانب، او لأن ابناءها هم، قديماً وحديثاً، في مقدم رواد البحار فحسب، بل ايضاً لأنها تملك - ربما الى اليوم - اعظم البواخر التجارية والسياحية واضخم السفن الحربية في العالم. وقد عرفت مراكبها منذ سيرها البخار بقوته الجبارة معظم المرافئ ومخترت المحيطات والبحار بقصد التجارة والتعامل مع البلدان القريبة والبعيدة، والقيام برحلات سياحية واستكشافية ونقل المسافرين الى سائر انحاء المعمورة. وقد عرفت مرافئنا وشواطئنا اللبنانية زيارات بعض سفنها التجارية والحربية الكبرى.

في 12 آذار 1965 رست في المياه اللبنانية، خارج مرقاً بيروت في اتجاه خليج مار جرجس، اعظم باخرة تجارية وسياحية بريطانية في العالم هي "كوين اليزابيث"، التي تحمل هذا الاسم تيمناً بملكة الانكليز. ومن سرح بصره في هذه الجهة من البحر رأها وكأنها جبل عائم. وكانت تحمل على متنها 685 مسافراً معظمهم من الاميركيين، غادرت بهم نيويورك في 21 شباط وستعود بهم الى منطلقهم في 30 آذار.

حمولة هذه الباخرة 83673 طناً، وقد بُنيت في احواض كلايد بانك في اسكتلندا لحساب شركة كونارد للملاحة. يبلغ طولها الاجمالي زهاء 317 متراً، وعرضها 36 متراً ونصف المتر. لها طورين تولد ما قوته 168,000 حصان، واقصى ما تستطيع حملة 2316 راكباً. لا يزيد طولها الا الباخرة